٦٠ – باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقةً بالله تعالى

قَالَ الله تَعَالَى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} [سبأ: ٣٩] **وقال تَعَالَى: {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ}** [البقرة: ٢٧٢] **وقال تَعَالَى: {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ}** [البقرة: ٢٧٣].

=========

قَالَ الله تَعَالَى (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) .

أي: مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب، كما ثبت في الحديث: يقول الله تعالى: أنفق أنفق عليك". وفي الحديث: أن ملكين يصيحان كل يوم، يقول أحدهما: "اللهم أعط ممسكاً تلفا"، ويقول الآخر: "اللهم أعط منفقا خلفا "وقال رسول الله ﷺ" أنفق بلالاً ولا تخش من ذي العرش إقلالاً. (ابن كثير)

قال السعدي : قوله تعالى (فَهُوَ يُخْلِفُهُ) أي فلا تتوهموا أن الإنفاق مما ينقص الرزق، بل وعد بالخلف للمنفق، الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر (وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) فاطلبوا الرزق منه، واسعوا في الأسباب التي أمركم بها.

وقال تَعَالَى (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ) .

(وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ) قليل أو كثير فهو:

(فَلِأَنْفُسِكُمْ) لا ينتفع به غيركم، فإن كان طيباً فلأنفسكم، وإن كان خبيثاً فأجره لكم، وإن مننتم به أو آذيتم فقد ظلمتم أنفسكم، وإن أخلصتم فيه فلأنفسكم.

قال أبو السعود: أي فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيرُكم، فلا تمنوا على من أعطيتموه ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الخبيث، أو فنفعُه الدينيَّ لكم لا لغيركم من الفقراء حتى تمنعوه ممن لا ينتفع به من حيث الدينُ من فقراء المشركين.

قال القرطبي: وحُكي أن بعض العلماء كان يصنع كثيراً من المعروف ثم يحلف أنه ما فعل مع أحد خيراً، فقيل له في ذلك فيقول: إنما فعلت مع نفسي؛ ويتلو (وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ) .

(وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ) قيل في معناها أقوال:

الأول: أن يكون المعنى: ولستم في صدقتكم على أقاربكم من المشركين تقصدون إلا وجه الله، فقد علم الله هذا من قلوبكم، فأنفقوا عليهم إذا كنتم إنما تبتغون بذلك وجه الله في صلة رحم وسد خلة مضطر؛ وليس عليكم اهتداؤهم حتى يمنعكم ذلك من الإنفاق عليهم.

قال الحسن البصري: نفقة المؤمن لنفسه، ولا ينفق المؤمن –إذا أنفق– إلا ابتغاء وجه الله.

وقال عطاء الخراساني: يعني إذا أعطيت لوجه الله، فلا عليك ما كان عملُه، وهذا معنى حسن، وحاصله أن المتصدق إذا تصدق ابتغاء وجه الله فقد وقع أجرُه على الله، ولا عليه في نفس الأمر لمن أصاب: أبَر أو فاجر أو مستحق أو غيرهُ، هو مثاب على قصده.

الثاني: أن هذا وإن كان ظاهره خبراً إلا أن معناه نهي، أي ولا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله، وورد الخبر بمعنى الأمر والنهي كثيراً قال تعالى (والوالدات يُرْضِعْنَ أولادهن) (والمطلقات يَتَرَبَّصْنَ).

الثالث: أن قوله (وَمَا تُنفِقُونَ) أي ولا تكونوا منفقين مستحقين لهذا الاسم الذي يفيد المدح حتى تبتغوا بذلك وجه الله. ... (ذكر هذه الأقوال الرازي رحمه الله.

وقيل: إنه شهادة من الله تعالى للصحابة رضي الله عنهم أنهم إنما ينفقون ابتغاءَ وجهه؛ فهذا خرج مخرج التفضيل والثناء عليهم. (ذكره القرطبي).

(وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ) أي: وما تنفقون من الخيرات والصدقات فإن أجره وثوابه أضعافاً مضاعفة تنالونه أنتم ولا تنقصون شيئاً من حسناتكم.

الفوائد :

١- أن المستفيد من العمل الإنسان نفسه.

٢ - ينبغي على الإنسان الاجتهاد بالعمل الصالح لأنه هو المستفيد.

٣ - أن الإنفاق المتقبل ما ابتغي به وجه الله.

٤ - أن الإنسان لا يظلم شيئاً.

٥- نفي الظلم عن الله لكمال عدله.

وقال تَعَالَى (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ) .

أي: لا يخفى عليه شيء منه، وسيجزي عليه أوفر الجزاء وأتمه يوم القيامة، أحوج ما يكونون إليه.

قال الثعالبي : ينبغي للفقيرِ أنْ يتعفّف في فَقْره، ويكتفي بعلْمِ ربِّه، قال الشيخُ ابن أبي جَمْرة: وقد قال أهْلُ التوفيق: مَنْ لَمْ يَرْضَ باليسيرِ، فهو أسير.

الفوائد :

١-عموم علم الله تعالى .

٢-في الآية الترغيب في الإخلاص في النفقة .

٣-فضل الإنفاق والصدقة .

٥٤٣ - وعن ابن مسعود ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ (لا حَسَدَ إِلاَّ في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ في الحَقّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا ويُعَلِّمُهَا) متفقٌ عَلَيْهِ.

==========

(إلا في اثنتين) أي: لا حسد محمود في شيء إلا في خصلتين.

(مالاً) نكرة ليشمل القليل والكثير.

(فسلط) عبر بالتسليط لدلالته على قهر النفس المجبولة على الشح.

(هلكته) أي إهلاكه، وعبر بذلك ليدل على أنه لا يبقي منه شيئاً.

(في الحق) أي: في الطاعات ليزيل عنه إيهام الإسراف المذموم.

قال النووي : (في الحق) أي: إنفاقه في الطاعات .

(الحكمة) اللام للعهد لأن المراد بها القرآن على ما أشرنا إليه قبل، وقيل: المراد بالحكمة كل ما منع من الجهل وزجر عن القبيح.

١ – معنى الحديث (لا حسد ...) الحسد تمني زوال النعمة عن المنعم عليه أما الحسد المذكور في الحديث فهو الغبطة، وأطلق الحسد عليها مجازاً وهي أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه، والحرص على هذا يسمى منافسة، فإن كان في الطاعة فهو محمود ومنه (فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)، فإن كان في المعصية فهو مذموم وإن كان في الجائزات فهو مباح. (الفتح)

قال النووي على مسلم: قوله ﷺ (لا حسد إلا في اثنتين) قال العلماء: الحسد قسمان حقيقي ومجازي، فالحقيقي: تمنى زوال النعمة عن صاحبها، وهذا حرام بإجماع الأمة، مع النصوص الصحيحة، وأما المجازي فهو الغبطة، وهو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها، فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وان كانت طاعة فهي مستحبة، والمراد بالحديث: لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما. (شرح مسلم)

وقال رحمه الله : ومعناه: يَنْبَغي أَنْ لاَ يُغبَطَ أَحَدٌ إِلاَّ عَلَى إِحْدَى هَاتَيْنِ الخَصْلَتَيْنِ. (رياض الصالحين)

وقال ابن القيم: الحسد ثلاث مراتب:

أحدها: أن يحسد ويقوم بمقتضاه من الأذى بالقلب واللسان والجوارح، فهذا الحسد المذموم.

والثاني: تمني استصحاب عدم النعمة، فهو يكره أن يحدث الله لعبده نعمة، بل يحب أن يبقى على حاله من جهله أو فقره أو ضعفه أو شتات قلبه عن الله أو قلة دينه، فهو يتمنى دوام ما هو فيه من نقص وعيب، فهذا حسد على شيء مقدر، والأول حسد على شيء محقق، وكلاهما حاسد عدو نعمة الله، وعدو عباده، وممقوت عند الله وعند الناس، ولا يسود أبداً، فإن الناس لا يسودون عليهم إلا من يريد الإحسان إليهم، فأما عدو نعمة الله عليهم فلا يسودونه باختيارهم أبداً إلا قهراً.

والثالث: حسد الغبطة، وهو تمني أن يكون له مثل حال المحسود من غير أن تزول النعمة عنه، فهذا لا بأس به ولا يعاب صاحبه، بل هذا قريب من المنافسة (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون).

وفي الصحيح قال ﷺ (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً وسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها، ويعلمها الناس) فهذا حسد غبطة، الحامل لصاحبه عليه كبر نفسه، وحب خصال الخير، والتشبه بأهلها، والدخول في جملتهم، فهذا لا يدخل في الآية بوجه ما.

وقال رحمه الله : (لا حسد إلا في اثنتين...) يعني: أنه لا ينبغي لأحد أن يغبط أحدًا على نعمة، ويتمنى مثلها إلا أحد هذين؛ وذلك لما فيهما من النفع العام والإحسان المتعدي إلى الخلق: فهذا ينفعهم بعلمه، وهذا ينفعهم بماله. «والخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله»، ولا ريب أن هذين الصنفين من أنفع الناس لعيال الله، ولا يقوم أمر الناس إلا بهذين الصنفين، ولا يعمر العالم إلا بهما. (طريق الهجرتين)

وقال ابن رجب: ثم ينقسم الناس [أي في الحسد] بعدَ هذا إلى أقسام، فمنهم من يسعى في زوال نعمةِ المحسودِ بالبغي عليه بالقول والفعل، ثمَّ منهم من يسعى في نقلِ ذلك إلى نفسه، ومنهم من

يَسعى في إزالته عن المحسودِ فقط من غيرِ نقل إلى نفسه، وهو شرُّهما وأخبثهما، وهذا هو الحسدُ المذمومُ المنهيُّ عنه.

وقسم آخر من الناسِ إذا حسدَ غيره، لم يعمل بمقتضى حسده، ولم يبغِ على المحسود بقولٍ ولا فعلٍ. وقد رُوي عن الحسن أنَّه لا يأثمُ بذلك، وروي مرفوعاً من وجوه ضعيفة، وهذا على نوعين:

أحدهما: أنْ لا يمكنه إزالةُ الحسدِ من نفسِه، فيكون مغلوباً على ذَلِكَ، فلا يأثمُ به.

والثاني: من يُحدِّثُ نفسَه بذلك اختياراً، ويُعيده ويُبديه في نفسه مُستروِحاً إلى تمنّي زوالِ نعمة أخيه، فهذا شبيهٌ بالعزم المصمِّم على المعصية، وفي العقاب على ذلك اختلافٌ بين العلماء، وربما يُذكر في موضعٍ آخر إنْ شاء الله تعالى، لكن هذا يَبعُدُ أن يَسلَمَ من البغي على المحسود، ولو بالقول، فيأثم بذلك.

وقسم آخر إذا حسد لم يتمنَّ زوال نعمة المحسود، بل يسعى في اكتساب مثل فضائله، ويتمنَّى أنْ يكونَ مثله، فإن كانتِ الفضائلُ دنيويَّةً، فلا خيرَ في ذلك، كما قال الَّذينَ يُريدُونَ الحياةَ الدُّنيا (يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ)، وإنْ كانت فضائلَ دينيَّةً، فهو حسن، وقد تمنَّى النَّبيُّ ﷺ الشَّهادة في سبيل الله -عز وجل- وفي الصحيحين عنه ﷺ قال (لا حسدَ إلاَّ في اثنتين: رجلٌ آتاه اللهُ مالاً، فهو يُنفقه آناء الليل وآناء النَّهار، ورجلٌ آتاهُ اللهُ القرآن، فهو يقومُ به آناء اللَّيل وآناءَ النَّهار) وهذا هو الغبطة، وسماه حسداً من باب الاستعارة.

وقسم آخر إذا وجدَ من نفسه الحسدَ سعى في إزالته، وفي الإحسان إلى المحسود بإسداءِ الإحسان إليه، والدُّعاء له، ونشر فضائله، وفي إزالة ما وَجَدَ له في نفسه مِنَ الحسدِ حتّى يبدلَه بمحبَّة أنْ يكونَ أخوه المسلمُ خيراً منه وأفضلَ، وهذا مِنْ أعلى درجات الإيمان، وصاحبه هو المؤمنُ الكاملُ الذي يُحبُّ لأخيه ما يحبُّ

لنفسه، وقد سبق الكلام على هذا في تفسير حديث (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). (ابن رجب).

وقال القاضي عياض -رحمه الله-: قوله (لا حسد إلا في اثنتين) الحديث، معناه: لا حسد محمودٌ أو ممدوح إلا هذا؛ لأنه حسدٌ على فعل الخير، والحسد على ثلاثة أضرب: مُحَرَّمٌ مذمومٌ، ومباح، ومحمود مُرَغَّبٌ فيه.

فالأول تمني زوال النعمة المحسودة من صاحبها، وانتقالها إلى الحاسد، وهذا هو حقيقة الحسد، وهو مذموم شرعًا وعرفًا.

وأما الوجهان الآخران: فهو الغبْطُ، وهو: أن يتمنى ما يراه من خير بأحدٍ أن يكون له مثله، فإن كان من أمور الدنيا المباحة كان تمني ذلك مباحًا، وإن كانت من أمور الطاعات كان محمودًا مرغَّبًا فيه.

وقال أبو العباس القرطبي -رحمه الله-:وأما غير المذموم فقد يكون محمودًا، مثل: أن يتمنَّى زوال النعمة عن الكافر وعمن يستعين بها على المعصية، وأما (المحمود): فهو أن تتمنى أن يكون لك من النّعمة والخير مثل ما لغيرك، من غير أن تزول عنه، والحرص على هذا يسمى: منافسة، ومنه: {وَفِيْ ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} غير أنه قد يطلق على الغبطة: حسدًا، وعليه يحمل الحسد في هذا الحديث، فكأنه قال: لا غبطة أعظم أو أفضل من الغبطة في هذين الأمرين، وقد نَبَّهَ البخاري على هذا؛ حيث بَوَّب على هذا الحديث: باب: الاغتباط في العلم والحكمة. (المفهم)

وقال ابن الملقن -رحمه الله-: ومعنى الحَسد هُنا: شِدّة الحرص والرغبة من غير تمنّي زوالها عن صاحبها وهو المنافسة، وأطلق الحسد عليه؛ لأنهما سببه، وسماه البخاري اغتباطًا؛ لأن مَن أُوْتِيَ مثل هذا ينبغي أن يُغبطَ به ويُنَافِسَ فيه، قَالَ تعالى (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ) .

٢-**قال الخطابي** : ومعنى الحديث التحريض والترغيب في تعلم العلم والتصدق بالمال .

٣-**قال الصنعاني** : المراد بالحسد هنا: المنافسة، والفرق بين الحسد والمنافسة: أن المنافسة المبادرة إلى الكمال الذي تشاهده من غيرك فتنافسه فيه؛ حتى تلحقه أو تجاوزه؛ فهو من شرف النفس، وعلو الهمة، وكبر القدر، وطلب المعالي، والحسد خُلُقُ نفس ذميمة وضيعة ساقطة، ليس فيها حرص على الخير، ولا همة عليه؛ فلعجزها ودناءتها تحسد من يكسب الخير والمحامد، ويفوز بها دونها، ويتمنى أنه لو فاته كسبها حتى يساويها في عدم الهمة في كسب الخير، ومراد الحديث: لا غبطة إلا في هاتين الخصلتين، فعبّر بالحسد عن الغبطة اتساعًا في ذلك لتقاربهما.

٤-**وقال السندي** -رحمه الله-: والمراد: أنه لا تنبغي الغبطة في الأمور الخسيسة، وإنما تنبغي في الأمور الجليلة الدقيقة؛ كالجود والعلم مع العمل .

٥-**قال ابن علان** : فينبغي ألا يُغبط أحد على حال هو فيه كائنًا ما كان، إلا على إحدى هاتين الخصلتين؛ لعظم نفعهما وحسن وقعهما، وإذا كان يغبط على أحدهما فجملتهما بالأولى .

٦ – أنه لا أحد يغبط على ما أتاه الله من مال أو غيره إلا في اثنتين فقط:

الأولى: رجل أعطاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار.

الثانية: رجل أعطاه الله مالاً، فهو ينفقه في وجوه الخير.

قال ابن القيم: فأخبر ﷺ أنه لا ينبغي لأحد أن يحسد أحداً، يعني: حسد غبطة، ويتمنى مثل حاله من غير أن يتمنى زوال نعمة الله عنه إلا في واحدة من هاتين الخصلتين، وهي الإحسان إلى الناس بعلمه أو ماله، وما عدا هذين فلا ينبغي غبطته ولا تمني مثل حاله لقلة منفعة الناس به.

٧-**قال ابن الملقن** : فيه أن الغني إذا قام بشرط المال وفعل فيه ما يرضي الله كان أفضل من الفقير .

٨-**قال ابن القيم** : فجعل الغنى مع الانفاق بمنزلة القرآن مع القيام به .

٩-**قال ابن علان** : فيه أن شكر المال: إنفاقه في وجوه الطاعات؛ ابتغاء مرضاة الله تعالى، وأن شكر العلم: العمل به وتعليمه .

١٠ – فضل من أعطي القرآن وعلمه ونشره وقام به.

١١ – التحذير ممن أعطي القرآن ولم يقم بحقه.

١٢ – في الحديث أن المقصود من العلم هو العمل.

١٣ – فضل الغني الذي أعطي مالاً، فهو ينفق منه في وجوه الخير.

١٤ – ذم من أعطي مالاً ولم ينفق منه في وجوه الخير.

١٥ – الحث على كسب المال لإنفاقه في وجوه الخير.

١٦ – استدل بالحديث من قال: إن الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر.

١٧– الحرص على التنافس في الخيرات والأعمال الصالحات، لأن النبي ﷺ قال: (لا حسد ...) أي لا غبطة.

وقد قال تعالى (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون).

وقال تعالى (لمثل هذا فليعمل العاملون).

وكان الصحابة يتنافسون في أعمال الخير.

٥٤٤ – وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ (أيُّكُم مَالُ وَارِثِهِ أَحبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قالوا: يَا رسول اللهِ، مَا مِنَّا أحَدٌ إلاَّ مَالُهُ أحَبُّ إِلَيْهِ. قَالَ: «فإنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالَ وَارِثِهِ مَا أخَّرَ) رواه البخاري.

==========

(أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ) قال في (الفتح) أي إن الذي يخلفه الإنسان من المال وإن كان حالاً منسوباً إليه فإنه مجازيه ومن بعد حقيقه.

(مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلاَّ مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ) أي: من مال وارثه.

(فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ) بأن تصدق أو أكل أو لبس كما في الحديث الآتي.

(**وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ**) فإن عمل فيه بطاعة الله اختص بثوابه عن الميت وإن كان عمل فيه بمعصية الله تعالى فذلك أبعد لمالكه الأول من الانتفاع إن سلم من تبعته.

١ – الحديث دليل على أن مال الإنسان حقيقة ما قدمه من عمل صالح وصدقة.

عن عبدِ الله بن الشِّخِّيرِ –بكسر الشينِ والخاء المعجمتين– ﷺ، أنه قَالَ (أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) قَالَ (يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مالي، وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَو لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!). رواه مسلم

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (يَقُولُ الْعَبْدُ مَالِي مَالِي إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلاَثٌ مَا أَكَلَ فَأَفْنَى أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى أَوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ) رواه مسلم.

فهذا هو الذي يضاف إليه حياً وميتاً بخلاف ما يخلفه من المال.

قال ابن بطال: فيه التحريض على ما يمكن تقديمه من المال في وجوه البرّ والقرب لينتفع به في الآخرة، فإن كل ما يخلفه يصير ملكاً للوارث.

وعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النبيُّ ﷺ (مَا بَقِيَ مِنْهَا؟) قالت: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُها. قَالَ (بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرُ كَتِفِهَا) رواه الترمذي.

ومعناه: تَصَدَّقُوا بِهَا إِلاَّ كَتِفَها. فَقَالَ: بَقِيَتْ لَنَا في الآخِرَةِ إِلاَّ كَتِفَهَا.

٢ – الحديث دليل على الترغيب في الإنفاق في سبيل الله.

٣ – وفيه التحريض على تقديم ما يمكن تقديمه من المال في وجوه القربة والبر لينتفع به في الآخرة.

٤ – العمل للآخرة.

٥ – مصداق لحديث (يتبع الميث ثلاثة: أهله وماله وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يرجع أهله وماله ويبقى عمله).

٦ – الدنيا دار ابتلاء واختبار لا دار قرار.

٥٤٥ – وعن عَدِيِّ بن حَاتِمٍ ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ (اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ) متفقٌ عَلَيْهِ.

==========

الحديث تقدم شرحه : ١٣٩

١–الحديث دليل على فضل الصدقة وأنها من أسباب النجاة من النار . (وسيأتي إن شاء الله فضل الصدقة والإنفاق)

قال ابن حجر –رحمه الله– أي: اجعلوا بينكم وبينها وقاية؛ من الصدقة وعَمَلِ البِرِّ ولو بشيء يسير.

وقال المناوي –رحمه الله– (شِقّ تمرة) بكسر المعجمة أي: جانِبها أو نصفها، فإنه يفيد، فقد يَسُدُّ الرمق للطفل، فلا يحتقر المتصدق ذلك، فـ(لو) هنا للتقليل، كما تقرر، وهو معدود من معانيها، كما في المغني عن اللخمي وغيره.

وقد ذَكَرَ التمرة دون غيرها كلقمة طعام؛ لأن التمر غالبُ قُوْتِ أهل الحجاز، والاتِّقاء من النار كناية عن محو الذنوب .

وقال القاضي عياض –رحمه الله– قوله (اتقوا النار ولو بِشِقِّ تمرة) تحريض على الصدقة، وأنه لا يُسْتَحْقَرُ منها شيء، وشِقُّ الشيء: نصفه .

وقال الملا علي القاري –رحمه الله– (فاتقوا النار) أي: إذا عرفتم ذلك فاحذروا منها، ولا تظلموا أحدًا «ولو بِشِقِّ تمرة»، أو فتصدقوا ولو بِشِقِّ تمرة، أي: ولو بمقدار نصفها أو ببعضها، والمعنى: ولو بشيء يسير منها أو من غيرها؛ فإنه حجاب وحاجز بينكم وبين النار، فإن الصدقة جُنَّةٌ ووسيلةٌ إلى جَنَّةٍ .

وقال ابن عثيمين -رحمه الله - وفيه: دليل على أن الصدقة ولو قَلَّتْ تنجي من النار؛ لقوله: اتقوا النار ولو بِشِقِّ تمرة .

٢-وجوب اتقاء النار .

وقد أمر الله باتقائها في آيات كثيرة:

فقال تعالى (وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ).

وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ).

وقال تعالى (فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى).

وقال تعالى (وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ. إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ. نذيراً للبشر) قال الحسن البصري: والله ما أُنذر العباد بشيء قط أدهى منها.

وقال ﷺ (اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة) متفق عليه.

واتقاء النار يكون: بفعل أوامر الله واجتناب نواهيه.

فينبغي على المسلم أن يحذر من النار وأن يتقيها كما أمر الله عز وجل.

فقد أمر الله باتقائها كما في هذه الآية.

وأمر ﷺ بالاستعاذة منها. كما قال ﷺ (استعيذوا بالله من عذاب جهنم) متفق عليه.

وكان ﷺ يقول في صلاته (اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم) متفق عليه.

ومن صفات عباد الله الخوف منها، كما قال تعالى (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً).

٣- بعض الأعمال التي تنجي من النار :

الصدقة .

كما في حديث الباب (اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بشقِّ تَمْرَةٍ) .

وقال ﷺ (ليتق أحدكم وجهه النار ولو بشق تمرة) رواه أحمد.

وجاء عند الطبراني من حديث فضالة بن عبيد مرفوعاً (اجعلوا بينكم وبين النار حجاباً، ولو بشق تمرة).

ولأحمد عن عائشة بإسناد حسن (يا عائشة استتري من النار، ولو بشق تمرة، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان).

وقال ﷺ (يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ) متفق عليه.

الإيمان بالله .

قال تعالى (الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار).

الصيام .

قال ﷺ (الصيام جُنة يستجن به من النار) رواه أحمد.

وقال ﷺ (من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً) متفق عليه.

البكاء من خشية الله .

قال ﷺ (لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع) رواه الترمذي.

الاستجارة بالله من النار .

كما قال ﷺ (ما سأل أحد الله ثلاثاً إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ولا استجار رجل مسلم من النار ثلاثاً إلا قالت النار: اللهم أجره مني).

المحافظة على صلاة الفجر والعصر .

قال ﷺ (لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) رواه مسلم.

الجهاد .

قال ﷺ (من اغبرت قدماه في سبيل الله فهما حرام على النار) رواه الترمذي.

حسن الخلق .

قال ﷺ (من كان سهلاً هيناً ليناً حرمه الله على النار) رواه أحمد.

عتق الرقاب .

قال ﷺ (من أعتق رقبة مؤمنة كانت فكاكه من النار).

الكلمة الطيبة .

لحديث الباب (فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَو بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَة) قال النووي: فيه أن الكلمة الطيبة سبب للنجاة من النار.

التوحيد بإخلاص وصدق .

قال ﷺ (إن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله) متفق عليه.

٤-**قال الشيخ ابن سعدي** -رحمه الله- في هذا الحديث: أنَّ من أعظم المنجيات من النار: الإحسان إلى الخَلْقِ بالمال والأقوال، وأن العبد لا ينبغي له أن يَحْتَقِر من المعروف ولو شيئًا قليلًا .

٥٤٦ – وعن جابرٍ ﷺ قَالَ (مَا سُئِلَ رسول الله ﷺ شَيْئًا قَطُّ، فقالَ: لاَ) متفقٌ عَلَيْهِ.

٥٤٧ – وعن أنسٍ ﷺ قَالَ: مَا سُئِلَ رسول الله ﷺ عَلَى الإِسْلاَمِ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ، وَلَقَدْ جَاءهُ رَجُلٌ، فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ، أَسْلِمُوا فإِنَّ مُحَمَّدًا يُعطِي عَطَاءَ مَن لاَ يَخْشَى الفَقْرَ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلاَّ الدُّنْيَا، فَمَا يَلْبَثُ إِلاَّ يَسِيرًا حَتَّى يَكُونَ الإِسْلاَمُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا) رواه مسلم.

==========

١ – الحديث دليل على فضل الجود والكرم، وأن ذلك من شمائل النبي ﷺ وصفاته.

فالكرم من صفات النبي ﷺ .

كما في حديث الباب (مَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ: لا)

وعنْ أَنَسٍ قَالَ (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَجْوَدَ النَّاسِ وَأَشْجَعَ النَّاسِ) متفق عليه .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ) متفق عليه.

وعن جابر ﷺ قال: قال لي النبي ﷺ (لو قد جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا فلم يجيء مال البحرين حتى قبض النبي ﷺ فلما جاء مال البحرين أمر أبو بكر ﷺ فنادى من كان له عند رسول الله ﷺ عدة أو دين فليأتنا فأتيته وقلت له أن النبي ﷺ قال لي كذا فحثى لي حثية فعددتها فإذا هي خمسمائة فقال لي خذ مثيلها) متفق عليه.

قال ابن عثيمين في شرح هذا الحديث: وفيه دليل على كرم النبي ﷺ حيث يحثو المال حثياً ولا يعده عداً، لأنه قال بيديه وهذا يدل على الكرم وأن المال لا يساوي عنده شيئاً صلوات الله وسلامه عليه.

وعن أبي ذر ﷺ قال (كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرة المدينة، فاستقبلنا أُحد، فقال: "يا أبا ذر" قلت: لبيك يا رسول الله. قال: "ما يسرني أن عندي مثل أُحد هذا ذهبًا، تمضي عليه ثالثة وعندي منه دينار، إلا شيئًا أرصده لدين. إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا" عن يمينه، وعن شماله، ومن خلفه) متفق عليه.

وعَنْ مُوسَى بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ (مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الإِسْلاَمِ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ - قَالَ - فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِى عَطَاءً لاَ يَخْشَى الْفَاقَةَ) رواه مسلم.

وأعطى ﷺ صفوان بن أمية، يوم حنين، مائة من النعم، ثم مائة، ثم مائة، قال صفوان: والله لقد أعطاني رسول الله ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إليَّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ. رواه مسلم.

٢-الحث على الكرم وهو مما يغبط عليه الكريم.

قال ﷺ (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها ويعلمها).

فالكرم عِزُّ الدنيا، وشرف الآخرة، وحسن الصيت، وخلودُ جميل الذكر، الكرم يجعل الإنسان محبوبًا من أهله وجيرانه وأقاربه والناس أجمعين.

٥٤٨ - وعن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبحُ العِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا) متفقٌ عَلَيْهِ.

٥٤٩ - وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ (قَالَ الله تَعَالَى: أنفِق يَا ابْنَ آدَمَ يُنْفَقْ عَلَيْكَ) متفقٌ عَلَيْهِ.

==========

(**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبحُ العِبَادُ فِيهِ**) إلى يوم القيامة .

(**اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا**) أي : منفق مال .

(**خَلَفًا**) عوضاً عظيماً .

١-في هذه الأحاديث حث على الإنفاق والصدقة والكرم والجود .

قال ابن بطال -رحمه الله-: معنى هذا الحديث: الحض على الإنفاق في الواجبات، كالنفقة على الأهل وصلة الرحم، ويدخل فيه صدقة التطوع والفرض، ومعلوم أن دعاء الملائكة مجاب، بدليل قوله: «فمَن وَافَقَ تأمينُه تأمينَ الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه» ومصداق الحديث قوله تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} يعني: ما أنفقتم في طاعة الله، وقوله ﷺ: «ابن آدم، أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليك» .

وقال القاضي عياض -رحمه الله-: هذا -والله أعلم- في الإنفاق في الواجبات والمندوبات، والحقوق المتعيّنة في المال، والإنفاق بالمعروف، ويصدّقه قوله تعالى (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) وقوله (وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) وقوله عليه السلام للذي أراد الصدقة بجميع ماله: «أَمْسِكْ عليك بعضه فهو خير لك» وفيه: الحض على الإنفاق، ورجاء قبول دعوة الملائكة. .

وقال ابن هبيرة -رحمه الله-: في هذا الحديث من الفقه: أنَّ الله -سبحانه وتعالى- خلق مَلَكين، وجعل شغلهما الذي خلقهما لأجله أن يدعُوَا اللهَ -سبحانه وتعالى- بأن يُخْلِفَ على المنفق، ويُتْلِفَ على الممسك، وأن يكون ذلك هِجّيرَاهُما (عادتهما ودأبهما) صباحًا ومساءً، وهو سبحانه كان غنيًّا عن أن يسأل في هذا، ولكنه أعلمنا على لسان رسوله ﷺ أنه سبق مني خَلْقُ ملكين، يواصلان السؤال لهذا وأنا لا أرد، فحذَّر الممسكين وبشَّر المنفقين .

وقال النووي -رحمه الله-: قال العلماء: هذا الحديث في الإنفاق في الطاعات ومكارم الأخلاق، وعلى العيال والضيفان، والصدقات، ونحو ذلك، بحيث لا يُذم، ولا يُسمَّى سَرَفًا، والإمساك المذموم هو الإمساك عن هذا .

٢-هذه الأحاديث دليل على فضل الإنفاق والصدقة في سبيل الله ، وللإنفاق في وجوه الخير فضائل :

أولاً: أن الإنفاق استجابة لأمر ربنا تعالى.

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ).

وقال تعالى (وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ. وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).

ثانياً: مضاعفة الحسنات.

قال تعالى (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).

ثالثاً: أن درجة البر تنال بالإنفاق.

قال تعالى (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ).

رابعاً: أنها من صفات المتقين.

كما قال تعالى (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) فقوله تعالى (فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ) دليل على أن الإنفاق ملازم لهم في جميع أحوالهم.

خامساً: الأمان من الخوف يوم الفزع الأكبر.

قال تعالى (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ).

سادساً: أن صاحب الإنفاق موعود بالخير الجزيل.

قال تعالى (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ).

وقال تعالى (فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ).

سابعاً: أن الله يخلف الصدقة.

قال تعالى (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ).

ثامناً: أن الإنفاق دليل على صحة الإيمان.

قال ﷺ (والصدقة برهان) رواه مسلم، فالصدقة برهان على صحة الإيمان.

قال ابن رجب: وأما الصدقة فهي برهان، ... فكذلك الصدقة برهان على صحة الإيمان.

تاسعاً: ينال دعاء الملائكة.

كما في حديث الباب (ما من صباح إلا وينزل ملكان: يقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً) .

يعني: اللهم أعطِ مَن صَرَفَ ماله في الخيرات، ولم يُمسكه عِوَضًا، وكثِّر مَالَه .

عاشراً: فضل من سبق بالإنفاق والجهاد.

قال تعالى (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى).

الحادي عشر: أنها إرغام للشيطان وحسن ظن بالله.

قال تعالى (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).

الثاني عشر: لا حسد إلا لمن أنفق في وجوه الخير.

قال ﷺ (لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ، فَهْوَ يَقْضِى بِهَا وَيُعَلِّمُهَا).

الثالث عشر: الصدقة تطهير للنفس.

كما قال تعالى (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ).

الرابع عشر: أنها تزيد المال.

قال ﷺ (ما نقصت صدقة من مال) رواه مسلم.

الخامس عشر: أنها تظلل صاحبها يوم القيامة.

كما قال ﷺ (العبد في ظل صدقته يوم القيامة) رواه ابن حبان.

السادس عشر: مغفرة الذنوب.

وفي الحديث (والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار) رواه الترمذي.

السابع عشر: يكون في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله.

كما قال ﷺ (وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ).

الثامن عشر: سبب للنجاة من النار.

كما قال ﷺ للنساء (تصدقن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار) متفق عليه.

وقال ﷺ (اتقوا النار ولو بشق تمرة) متفق عليه.

التاسع عشر: أن الله يضاعفها ولو كانت قليلة.

قال ﷺ (إن الله يربي الصدقة كما يربي أحدكم فلوه) متفق عليه.

عن أبي هُرَيْرَةَ قال. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ - وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ - إِلاَّ أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ كَمَا يُرَبِّى أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ) متفق عليه.

العشرون: أن فيها انشراح الصدر، وراحة القلب وطمأنينته.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَثَلَ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ قَدِ اضْطُرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى ثُدَيِّهِمَا وَتَرَاقِيهِمَا فَجَعَلَ الْمُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عَنْهُ حَتَّى تُغَشِّيَ أَنَامِلَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ وَجَعَلَ الْبَخِيلُ كُلَّمَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ قَلَصَتْ وَأَخَذَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا». قَالَ فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بِإِصْبَعِهِ فِي جَيْبِهِ فَلَوْ رَأَيْتَهُ يُوَسِّعُهَا وَلاَ تَوَسَّعُ) متفق عليه.

٢-أن الكرم والإنفاق من صفات رسول الله ﷺ .

قال ابن القيم: كَانَ ﷺ أَعْظَمَ النّاسِ صَدَقَةً بِمَا مَلَكَتْ يَدُهُ وَكَانَ لَا يَسْتَكْثِرُ شَيْئًا أَعْطَاهُ لِلّهِ تَعَالَى وَلَا يَسْتَقِلّهُ وَكَانَ لَا يَسْأَلُهُ أَحَدٌ شَيْئًا عِنْدَهُ إلّا أَعْطَاهُ قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا وَكَانَ عَطَاؤُهُ عَطَاءَ مَنْ لَا يَخَافُ الْفَقْرَ وَكَانَ الْعَطَاءُ وَالصّدَقَةُ أَحَبّ شَيْءٍ إلَيْهِ وَكَانَ سُرُورُهُ وَفَرَحُهُ بِمَا يُعْطِيهِ أَعْظَمَ مِنْ سُرُورِ الْآخِذِ بِمَا يَأْخُذُهُ وَكَانَ أَجْوَدَ النّاسِ بِالْخَيْرِ يَمِينُهُ كَالرّيحِ الْمُرْسَلَةِ. وَكَانَ إذَا عَرَضَ لَهُ مُحْتَاجٌ آثَرَهُ عَلَى نَفْسِهِ تَارَةً بِطَعَامِهِ وَتَارَةً بِلِبَاسِهِ. وَكَانَ يُنَوّعُ فِي أَصْنَافِ عَطَائِهِ وَصَدَقَتِهِ فَتَارَةً بِالْهِبَةِ وَتَارَةً بِالصّدَقَةِ وَتَارَةً بِالْهَدِيّةِ وَتَارَةً بِشِرَاءِ الشّيْءِ ثُمّ يُعْطِي الْبَائِعَ الثّمَنَ وَالسّلْعَةَ جَمِيعًا كَمَا فَعَلَ بِبَعِيرِ جَابِرٍ. (زاد المعاد)

يقول الإمام أحمد: إن كان الخلف على الله حقاً، فالبخل لماذا؟

وقال القرطبي: فمن استنار صدره، وعلم غنى ربه وكرمه أنفق ولم يخف الإقلال.

٣-قوله (**منفقاً خلفاً**) .

قال ابن حجر : وأما الخَلَفُ فإبهامه أَوْلى؛ ليتناول المال والثواب وغيرهما، فكم مِن مُنفقٍ مات قبل أن يقع له الخَلَفُ المالي، فيكون خلفه الثواب المعدُّ له في الآخرة، أو يدفع عنه من السوء ما يُقابل ذلك. .

٤-**قال أبو العباس القرطبي** : قوله (اللهم أعطِ مُنفِقًا خَلَفًا) هو موافق في المعنى لقوله تعالى (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) وهذا يعم الواجبات والمندوبات.

٥-**قال الملا علي القاري** : (خَلَفاً) أي: عِوضًا عظيمًا، وهو العِوَض الصالح، أو عِوضًا في الدنيا، وبدلًا في العقبى؛ لقوله تعالى: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) .

٦-قوله (**اللهم أعطِ ممسكًا تلفاً**) .

قال القرطبي : الْمُمسِك عن النفقات الواجبات، وأما الممسك عن المندوبات فقد لا يستحق هذا الدعاء، اللهم إلا أنْ يغلب عليه البخل بها، وإن قلَّت في أنفسها، كالحبَّة واللقمة، وما شاكل هذا، فهذا قد يتناوله هذا الدعاء؛ لأنه إنما يكون كذلك لغلبة صفة البخل المذمومة عليه، وقلَّ ما يكون كذلك إلا ويبخل بكثير من الواجبات، أو لا يطيب نفسًا بها، والله تعالى أعلم .

وقال العيني : قوله (أعط ممسكًا تَلَفًا) التعبير بالعطية هنا من قبيل المشاكلة؛ لأن التلف ليس بعطية...، وفيه: أنَّ الممسك يستحق تلف ماله.

وقال السندي : قوله (أعط ممسكًا تلفًا) حمله الجمهور على ضياع ماله .

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: والتلف نوعان: تلف حسي، وتلف معنوي:

أ-التلف الحسي: أن يتلف المال نفسه، بأن يأتيه آفة تحرقه أو يُسرق أو ما أشبه ذلك.

ب-والتلف المعنوي: أن تُنزع بركته، بحيث لا يستفيد الإنسان منه في حسناته .

٧-قوله (**ممسكاً تلفاً**) .

قال أبو العباس القرطبي -رحمه الله-: فأما إمساكه عن الواجبات فشرٌّ على كل حال، وإمساكه عن المندوب إليه، فقد يقال: فيه شرٌّ بالنسبة إلى ما فوَّت الممسك على نفسه من الخير.

وقال النووي -رحمه الله-: إن أمسك عن الواجب استحق العقاب عليه، وإنْ أمسك عن المندوب فقد نقص ثوابه، وفوَّت مصلحة نفسه في آخرته، وهذا كله شر.

٨-**قال الشيخ ابن عثيمين** -رحمه الله-: والمراد بذلك: من يمسك عما أوجب الله عليه من بذل المال فيه، وليس كل ممسك يُدعى عليه، بل الذي يمسك ماله عن إنفاقه فيما أوجب الله، فهو الذي تدعو عليه الملائكة بأن الله يتلفه، ويتلف ماله.

٥٥٠ – وعن عبد اللهِ بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما (أنَّ رَجُلًا سَأَلَ رسول الله ﷺ أيُّ الإسلامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ) متفقٌ عَلَيْهِ.

==========

(**أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ**) أي: خصال الإسلام خير.

(**تُطْعِمُ الطَّعَامَ**) تنفق الطعام على المحتاجين.

(**وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ**) أي تنشره وتقوله.

١ – حرص الصحابة على السؤال عما ينفعهم.

٢ – علو همة الصحابة، حيث هذا الصحابي سأل على أفضل خصال الإسلام. وقد جاء الحث على علو الهمة:

قال ﷺ (إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها) رواه الطبراني.

وقال ﷺ (لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا) متفق عليه

وقال ﷺ (إذا سأل أحدكم فليكثر، فإنما يسأل ربه) رواه ابن حبان.

وقال ﷺ (إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى) رواه البخاري.

وقال ﷺ (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، قال عمر: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ). رواه البخاري

وعن ربيعة بن كعب قال (كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: سلني، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود). رواه مسلم

٣ – أن خصال الإسلام متفاوتة فليست على مرتبة واحدة.

فقد قال ابن مسعود: أي الأعمال أحب إلى الله؟

وسئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل؟

٤ – فضل إطعام الطعام:

وقد مدح الله المطعمين للطعام:

فقال تعالى (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً).

ثم ذكر تعالى جزيل ما أثابهم عليه:

فقال تعالى (فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً).

وهو من أسباب النجاة من كرب يوم القيامة:

قال تعالى (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً. وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً. إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً. فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً).

من أسباب دخول الجنة.

قال ﷺ (يا أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، ... تدخلوا الجنة بسلام). رواه الترمذي

٥ – فضل نشر وإشاعة السلام. والسلام له فضائل:

أولاً: أنه سبب للمحبة.

قال ﷺ (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم). رواه مسلم

ثانياً: أنه من خير خصال الإسلام.

لحديث الباب.

ثالثاً: من أسباب دخول الجنة.

قال ﷺ (يا أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، ... تدخلوا الجنة بسلام). رواه الترمذي .

٦ – **قال بعض العلماء**: وجه تخصيص هاتين الخصلتين هو مساس الحاجة إليهما في ذلك الوقت، لما كانوا فيه من الجهد، ولمصلحة التأليف، ويدل على ذلك أنه ﷺ حث عليهما أول ما دخل المدينة كما رواه الترمذي مصححاً من حديث عبد الله بن سَلام قال: أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة، انجفل الناس إليه، فكنت ممن جاءه، فلما تأملت وجهه واستثبته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، قال: وكان أول ما سمعت من كلامه أن قال: أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام.

٧ – أن السنة إشاعة السلام على جميع الناس من تعرف ومن لا تعرف.

قال النووي: أي تسلم على كل مَن لقيته عرفته أم لم تعرفه، ولا تخُص به من تعرفه كما يفعله كثير من الناس.

٨ – قوله (وتقرأ السلام ...) هذا عام مخصوص بالكفار فلا يجوز ابتداء الكافر بالسلام.

لقوله ﷺ (لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام) متفق عليه.

٩ – جعل السلام على الجميع لمن يعرف ومن لا يعرف حتى يكون خالصاً لله تعالى، بريئاً من حظ النفس، والتصنع، لأنه شعار الإسلام، فحق كل مسلم فيه شائع.

١٠ – في إطعام الطعام وإفشاء السلام المحبة الدينية، لمن بذلهما أحبه الله وأحبه الناس.

ولذلك في الحديث (ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم).

١١ – الحث على الكرم والجود ومكارم الأخلاق.

١٢ – تفاوت مراتب الإسلام.

١٣ – الاعتناء بما ينفع المسلمين.

١٤ – الحث على تألف قلوب المسلمين.

١٥ – استحباب استجلاب ما يحصل به محبة المسلمين.

١٦ – أن المسلم ينبغي أن يحرص على نفع جميع المسلمين ولا يخص بعضهم لمعرفة.

١٧ – إشكال:

سئل النبي ﷺ عن أفضل الأعمال، فأجاب بإجابات متعددة مختلفة، من ذلك:

سئل: أي الإسلام خير: قال: تطعم الطعام ....

وسئل: أي العمل أفضل: فقال: إيمان بالله ورسوله ... .

وسئل: أي الأعمال أحب إلى الله: فقال: الصلاة على وقتها؟

وأجاب العلماء عن اختلاف الأجوبة مع اتحاد السؤال أن ذلك يرجع إلى أمرين:

أولاً: أن الجواب يختلف باختلاف أحوال السائلين، بأن أعلم كل قوم بما يحتاجون إليه أو بما لهم فيه رغبة أو بما هو لائق بهم.

ثانياً: أو كان الاختلاف باختلاف الأوقات بأن يكون العمل في ذلك الوقت أفضل من غيره.

ثالثاً: أن المراد (من أفضل). [وهذا ضعيف].

ولا شك أن هذه أجوبة الحكمة والسداد، وفتاوى من يريد العمل والصالح العام.

فإن لكل إنسان عملاً يصلح له ولا ينجح إلا به، فينبغي توجيهه إليه.

وكذلك الوقت:

فحيناً تكون الصدقة أفضل من غيرها كوقت المجاعات والحاجة.

وتارة يكون طلب العلم الشرعي، أنفع للحاجة إليه .... وهكذا.

٥٥١ – وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ (أَرْبَعُونَ خَصْلَةً: أَعْلاهَا مَنِيحةُ العَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا؛ رَجَاءَ ثَوَابِهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إلاَّ أَدْخَلَهُ الله تَعَالَى بِهَا الجَنَّةَ) رواه البخاري. وقد سبق بيان هَذَا الحديث في باب بَيَانِ كَثْرَةِ طُرُقِ الخَيْرِ.

==========

الحديث تقدم شرحه : ١٣٨

١-**قال الحافظ في الفتح**: المنيحة بالنون والمهملة وزن عظيمة هي في الأصل العطية، قال أبو عبيدة: المنيحة عند العرب على وجهين: أحدهما: أن يعطي الرجل صاحبه صلة فتكون له، والآخر: أن يعطيه ناقة أو شاة ينتفع بحلبها ووبرها زمنا ثم يردها، وقال القزاز: قيل لا تكون المنيحة إلا ناقة أو شاة والأول أعرف.

وقال النووي : (المنيحَةُ) أنْ يُعْطِيَهُ إِيَّاهَا لِيَأْكُلَ لَبَنَهَا ثُمَّ يَرُدَّهَا إِلَيْهِ.

٢-**معنى الحديث**: هذا الحديث يعد من فضل الله تبارك وتعالي ومعنى الحديث أن هناك أربعون خصلة أعلاها وأفضلها منيحة العنز أي تعطي العنز جارك أو مسكين فتدعه يستفيد من لبنها وحليبها ثم يردها اليك من عمل بخصلة من هذه الخصال وهو يرجوا ثوابها ومصدق بموعودها ادخله الله الجنة.

قال الإمام النووي رحمه الله: تستحب المنيحة، وهي أن تكون له ناقة أو بقرة أو شاة ذات لبن، فيدفعها إلى من يشرب لبنها مدة، ثم يردها إليه .

٣- الحث على الكرم.

٤ – فضل نفع الناس ابتغاء وجه الله تعالى.

٥ – الحث على ما يقرب التآلف والتحاب.

٥٥٢ – وعن أَبي أُمَامَة صُدَيّ بن عَجْلانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ (يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ أن تَبْذُلَ الفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَن تُمْسِكَه شَرٌّ لَكَ، وَلاَ تُلاَمُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَاليَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى) رواه مسلم.

==========

(**إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الفَضْلَ**) أي : إنفاق الزيادة على قدر الحاجة والكفاف .

(**خَيرٌ لَكَ**) في الدنيا والآخرة .

(**وَأنْ تُمسِكَهُ**) أي : إمساكك الفضل .

١-قوله (**يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الفَضْلَ خَيرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمسِكَهُ شَرٌ لَكَ**) مَعْنَاهُ : إِنْ بَذَلْت الْفَاضِل عَنْ حَاجَتك وَحَاجَة عِيَالِك فَهُوَ خَيْر لَك لِبَقَاءِ ثَوَابه ، وَإِنْ أَمْسَكْته فَهُوَ شَرّ لَك ؛ لِأَنَّهُ إِنْ أَمْسَكَ عَنْ الْوَاجِب اِسْتَحَقَّ الْعِقَاب عَلَيْهِ ، وَإِنْ أَمْسَكَ عَنْ الْمَنْدُوب فَقَدْ نَقَّصَ ثَوَابه ، وَفَوَّتَ مَصْلَحَة نَفْسه فِي آخِرَته ، وَهَذَا كُلّه شَرّ . (نووي)

وقال القرطبيّ رحمه الله: قوله (أن تبذل الفضل ...) يعني به الفاضل عن الكفاية، ولا شكّ في أن إخراجه أفضل من إمساكه، فأما إمساكه عن الواجبات فشرّ على كلّ حال، وأما إمساكه عن المندوب إليه فقد يقال فيه: شرّ بالنسبة إلى ما فوّت الممسك على نفسه من الخير، وقد تقدّم بيان هذا المعنى في قوله ﷺ: "وشرّ صفوف الرجال آخرها" وأن معنى ذلك أنها أقلّ ثوابًا.

٢-قوله (**ولا تلام على كفاف**) بالفتح وهو من الرزق القوت وهو ما كف عن الناس وأغنى عنهم. والمعنى لا تذم على حفظه وإمساكه أو على تحصيله وكسبه، ومفهومه: إنك إن حفظت أكثر من ذلك ولم تتصدق بما فضل عنك فأنت مذموم وبخيل وملوم.

٣-فضل الإنفاق في وجوه الخير ، وقد تقدم فضائل ذلك .

٤-الحث على الكرم .

٥-ذم البخل .

٦-فضل الكفاف .

٧-بيان أن الإنسان لا يُلام عن إمساكه كَفَافه؛ لأنه يكفّ به وجهه وعياله عن ذلّ السؤال.

٥٥٣ - وعن عمر ﷺ قَالَ (قسم رسول الله ﷺ قَسْمًا، فَقُلْتُ: يَا رسولَ الله، لَغَيْرُ هؤلاَءِ كَانُوا أَحَقَّ بِهِ مِنْهُمْ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُمْ خَيرُونِي أَنْ يَسأَلُونِي بالفُحْشِ، أَوْ يُبَخِّلُونِي، وَلَسْتُ بِبَاخِلٍ) رواه مسلم.

٥٥٤ - وعن جبير بن مطعم ﷺ قَالَ: (بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْن، فَعَلِقَهُ الأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ، حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَة، فَخَطِفَت رِدَاءهُ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ فقال: «أَعْطُونِي رِدَائي، فَلَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هذِهِ العِضَاهِ نَعَمًا، لَقَسَمْتُهُ بَينَكُمْ، ثُمَّ لا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلاَ كَذّابًا وَلاَ جَبَانًا) رواه البخاري.

«مَقْفَلَهُ» أيْ: حَال رُجُوعِه. وَ «السَّمُرَةُ»: شَجَرَةٌ. وَ «العِضَاهُ»: شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ.

==========

(**فَقُلْتُ: يَا رسولَ الله، لَغَيْرُ هؤلاَءِ**) أي : والله لغير هؤلاء الذين قسمت لهم

(**كَانُوا أَحَقَّ بِهِ**) أي : بالمال المقسوم .

(**إِنَّهُمْ خَيرُونِي أَنْ يَسأَلُونِي بالفُحْشِ**)

(**أَوْ يُبَخِّلُونِي**) بضم أوله، وتشديد الخاء المعجمة: أي ينسبوني إلى البخل .

١-معنى الحديث :

قال النوويّ رحمهُ اللهُ: معناه أنهم أَلَحُّوا في المسألة؛ لضعف إيمانهم، وألجأَوني بمقتضى حالهم إلى السؤال بالفُحْش، أو نِسْبتي إلى البخل، ولست بباخل، ولا ينبغي احتمال واحد من الأمرين، ففيه مداراة أهل الجهالة والقسوة، وتألُّفهم إذا كان فيهم مصلحة، وجواز دفع المال إليهم لهذه المصلحة. انتهى.

وقال القرطبيّ رحمهُ اللهُ: معناه: أنهم ألحّوا عليه في المسألة، واشتطّوا في السؤال، وقَصَدوا بذلك أحد شيئين:

إما أن يَصلُوا إلى ما طَلَبُوه، أو يَنسُبُوه إلى البخل، فاختار النبيّ ﷺ ما يَقتضيه كَرَمه، من إعطائهم ما سألوه، وصبرِه على جفوتهم، فسَلِمَ من نسبة البخل إليه؛ إذ لا يليق به، وحَلُم عنهم كي يتألّفهم، وكان عمر ﷺ عَتَبَ عليه في ذلك؛ نظرًا إلى أنّ أهل الدين، والْغَنَاء فيه أحقّ بالمعونة منهم، وهذا هو الذي ظهر لسعد بن أبي وقّاص ﷺ، فأعلمهما النبيّ ﷺ بمصالح أُخَر لم تخطُر لهما، هي أولى مما ظهر لهما.

٢-الحديث دليل على كرم النبي ﷺ .

٣-ذم البخل .

٤-ما كان عليه ﷺ من عظيم الخلق والصبر والحلم والإعراض عن الجاهلين.

٥-ذم الإلحاح في السؤال.

٦-البخل ليس من شيم الأنبياء ولا الصالحين .

٥٥٥ – وعن أَبي هريرة ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَال، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا، وَمَا تَواضَعَ أَحَدٌ لله إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ – عز وجل) رواه مسلم.

٥٥٦ – وعن أَبي كبشة عمرو بن سعد الأنماري ﷺ: أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول (ثَلاَثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسألَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقرٍ – أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا) رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

==========

١-الحديث دليل على فضل الصدقة وأنها سبب لزيادة المال .

وقد تقدم فضائل الصدقة .

قال القاضي عياض -رحمه الله- (مَا نَقَصَتْ صَدقةٌ مِن مَالٍ) فيه وجهان:

أحدهما: أنَّه بِقَدر ما نَقص منه يزيده الله فيه ويُنَمِّيْهِ وَيُكَثِّرُهُ.

والثاني: أنَّه وإن نَقص في نفسه ففي الثواب والأجر عنها ما يجبر ذلك النقص بإضعافه .

وقال ابن عبد البر -رحمه الله-: معنى قوله: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ» أي: لا تُنقِصُ الصَّدقةُ المالَ؛ لأنَّه مالٌ مباركٌ فيه، إذا أُدِّيَتْ زكاتُهُ، وتطَوَّع منه صاحبُهُ؛ لأنَّ الصدقة تُضَاعَف إلى سبعِمَائَةِ ضِعفٍ، ويجدها صاحبُها وقت الحاجة إليها كجَبَل أحُدٍ مُضاعفةً أضْعَافًا كثيرةً؛ فأيُّ نقصانٍ مع هذا؟

وقال النووي -رحمه الله- (ما نَقَصَتْ صدقةٌ من مالٍ) ذكروا فيه وجهين:

أحدهما : معناه: أنَّه يُبَارَك فيه، ويَدفع عنه المِضَرَّات؛ فَينجَبِر نَقص الصورةِ بالبركةِ الخَفِيَّةِ، وهذا مُدرَكٌ بالحِسِّ والعادة.

والثاني: أنَّه وإن نَقصَت صُورته كان في الثَّواب المرَتَّب عليه جَبرٌ لِنَقصه، وزيادةٌ إلى أضعافٍ كثيرةٍ.

وقال الباجي -رحمه الله- قوله: (ما نَقَصَتْ صدقةٌ من مالٍ) يريد -والله أعلم-: أنَّ الصَّدقة لا تُنقِص المال؛ لأن ما يُنفَق في الصَّدقة فالعِوَض عنه مِن الأجر، وهو مع ذلك سَبَبٌ لِتنميةِ المالِ وحفظه.

وقال الصنعاني -رحمه الله-: فَسَّر العُلماء عدم النَّقص بمعنيين:

الأول: أنَّه يُبَارك له فيه ويُدفع عنه الآفات، فيجبَر نَقص الصورة بالبركة الخفية.

والثاني: أنَّه يَحصُل بالثَّواب الحاصِل عن الصَّدقة جُبرَان نَقص عَينِها، فكأنَّ الصَّدقة لم تُنقِص المالَ؛ لِمَا يَكتُب الله من مضاعفة الحسنة إلى عشر أمثالها إلى أضعَافٍ كثيرةٍ.

قلتُ: والمعنى الثالث: أنَّه تعالى يُخلِفُها بِعِوَضٍ يظهر به عدم نَقص المال، بل ربما زادته، ودليله: قوله تعالى (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) وهو مجرَّبٌ محسوسٌ.

وقال صفي الرحمن المباركفوري -رحمه الله- قوله (ما نَقَصَتْ صدقةٌ من مالٍ) لأن ما نقص بالصدقة يخلفه الله ببدل من عنده، قال تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} سبأ: ٣٩؛ ولأن ما يبقى بعد الصدقة يبارك الله فيه؛ حتى يقوم القليل مقام الكثير، فينجبر النقص الظاهر بالبركة الخفية، يضاف إلى ذلك الأجر المرتَّب على الصدقة في الدنيا؛ من احترام الناس وإكرامهم وتقديرهم للمُتصدِّق، والذي يترتَّب في الآخرة من الأضعاف المضاعفة في الثواب، فالصدقة بجنب كل هذا الكسب كأنها ليست بشيء، وأنَّ العائد أكثر مما أنفق وتصدَّق .

٢-فضل العفو ، وأنه من أسباب العزة .

قال ابن الجوزي -رحمه الله- قوله (وما زَادَ اللهُ عبدًا بعفوٍ إلَّا عِزًّا) وذاك؛ لأنَّ العَافِيَ في مَقام الوَاهب والْمُتَصَدِّق، فَيُعَز بذلك

وقال ابن هبيرة -رحمه الله- قوله: (وما زَادَ اللهُ عبدًا بعفوٍ إلَّا عِزًّا) فإنَّ العَفو عِزٌّ في وقته، وبعد ذلك، فما زَاد به أحدٌ إلا عزًّا، وإذا وَسوس الشيطان للمسلم بأنَّ هذا يُخرِجه الناس مَخرج الذُّلِّ؛ فتلك خديعةٌ منه، فكلام رسول الله ﷺ دواءٌ لذلك الداء .

وقال الصنعاني -رحمه الله- وفي قوله (وما زَادَ اللهُ عبدًا بعفوٍ إلَّا عِزًّا) حَثٌّ على العَفو عن المسيءِ، وعَدم مُجازاته على إساءته وإنْ كانت جائزةٌ، قال تعالى (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) .

وفيه: أنَّه يَجعل الله تعالى للعافي عِزًّا وعَظمةً في القلوب؛ لأنه بالانتصاف يَظُنُّ أنَّه يَعظُم ويُصان جانبه، ويُهاب، ويَظُنُّ أنَّ الإغْضَاء والعَفو لا يَحصل به ذلك، فأخبر رسول الله ﷺ بأنه يَزداد بالعفو عزًّا .

٣- وللعفو فضائل وثمرات:

أولاً: أن فيه استجابة لأمر الله تعالى وطاعة لله ورسوله.

قال تعالى (فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ).

وقال تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ).

وقال تعالى (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

ثانياً: وهو يورث العز في الدنيا والآخرة.

كما في حديث الباب (وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً) .

ثالثاً: وهو يورث محبة الله عزوجل.

قال تعالى (الذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

رابعاً: يجلب الأجر الجزيل من الله تعالى.

قال تعالى (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ).

قال السعدي: وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو، وأن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به، فكما يحب أن يعفو الله عنه، فَلْيَعْفُ عنهم، وكما يحب أن يسامحه الله، فليسامحهم، فإن الجزاء من جنس العمل.

خامساً: يوجب عفو الله عن العبد يوم القيامة.

ففي الحديث (كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا فلقي الله فتجاوز عنه) متفق عليه.

سادساً: وهو من صفات الرسول ﷺ .

كما قال عبد الله بن عمرو: إني أرى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة (أنه ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح) رواه البخاري.

سابعاً: سبب لمغفرة الذنوب.

قال تعالى (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

ثامناً: من صفات المتقين.

قال تعالى (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

قال النووي : من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب وزاد عزة وكرامة .

وقال ابن تيمية : ما انتقم أحد قط لنفسه إلا أورثه ذلك ذلاً يجده في نفسه ، فإذا عفا أعزه الله مصداقاً لقول النبي ﷺ : وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً .

وعن أيوب قال: لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عنهم.

وهذا زين العابدين بن علي رضي الله عنه أتت جاريته تصب الماء عليه فسقط الإبريق من يدها على وجهه فشجه فقالت: والكاظمين الغيظ فقال : كظمت غيظي ، قالت : والعافين عن الناس قال : عفوت عنك ، قالت : والله يحب المحسنين ، قال : أنت حرة لوجه الله.

قال الحسن : كانوا يقولون أفضل أخلاق المؤمن العفو .

قال ابن حبان: الواجب على العاقل توطين النفس على لزوم العفو عن الناس كافة، وترك الخروج لمجازاة الإساءة! إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسنُ من الإحسان، ولا سبب لنماءِ الإساءة وتهييجها أشدُّ من الاستعمال بمثلها.

وقال عمر بن عبد العزيز: أحب الأمور إلى الله ثلاثة: العفو في القدرة، والقصد في الجدة، والرفق في العبادة، وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة.

وراحت النفس في العفو: فقد قال أحد الشعراء:

لما عفوت، ولم أحقد على أحدٍ ... أرحت قلبي من غم العداوات

إني أحي عدوي عند رؤيته ... لأدفع الشر عني بالتحيات

وأظهر البشر للإنسان أبغضه ... كأنما قد حشى قلبي محبات

فائدة :

قال ابن تيمية : وأعظم سبب يقود للعفو عن الناس، ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته النفيسة (قاعدة في الصبر) الأسباب التي تُعين المسلم على الصبر على أذى الناس قال: الثالث: أنْ يَشْهَدَ العبدُ حُسْنَ الثواب الذي وعده الله لمن عفى وصبر، كما قال تعالى: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) .

٤-الحديث دليل على فضل التواضع وأنه من أسباب الرفعة .

قال النووي: قوله ﷺ (وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) فيه وجهان:

أحدهما: يرفعه في الدنيا ، ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة ، ويرفعه الله عند الناس ، ويجل مكانه.

والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة ، ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا.

قال العلماء: وقد يكون المراد الوجهين معا في جميعها في الدنيا والآخرة، والله أعلم. (شرح نووي)

وقال ابن الجوزي -رحمه الله- وقوله (وما تواضع أحدٌ لله إلَّا رفعهُ اللهُ) أي: رَفَعَ قَدْرَه في القُلوب؛ لإخلاصه في التواضع.

وقال الصنعاني -رحمه الله- وفي قوله (وما تواضعَ أحدٌ للهِ) أَي: لأجل ما أعدَّه الله للمتواضعين، «إلَّا رَفَعَهُ اللهُ»: دليلٌ على أنَّ التواضع سبب للرِّفعةِ في الدَّارين لإطلاقه.

وفي الحديثِ حثٌّ على الصَّدقة، وعلى العفو، وعلى التواضع، وهذه من أمهات مكارم الأخلاق.

وقال السعدي -رحمه الله- (وما تواضعَ أحدٌ للهِ) تَنبيهٌ على حسنِ القَصد والإخلاص لله في تواضعه؛ لأن كثيرًا من النَّاس قد يُظهِر التواضع للأغنياء ليُصيب من دنياهم، أو للرؤساء لينال بسببهم مَطلوبه، وقد يُظهر التواضع رياءً وسُمعةً، وكل هذه أغراض فاسدةٌ، لا ينفع العبد إلا التواضع لله تقربًا إليه، وطلبًا لثوابه، وإحسانًا إلى الخلق؛ فَكمال الإحسان وروحه: الإخلاص لله.

٥-وللتواضع فضائل:

فهو سبب للرفعة.

لقوله ﷺ (من تواضع لله رفعه الله) .

وهو من صفات عباد الرحمن.

قال تعالى (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا).

قال ابن كثير: هذه صفات عباد الله المؤمنين (الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا) أي: بسكينة ووقار من غير جَبَرية ولا استكبار، كما قال (وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا). فأما هؤلاء فإنهم يمشون من غير استكبار ولا مرح، ولا أشر ولا بطر.

قال السعدي: فوصفهم بأنهم (يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا) أي: ساكنين متواضعين لله والخلق فهذا وصف لهم بالوقار والسكينة والتواضع لله ولعباده.

ويورث المحبة.

قيل: التواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة.

قال ابن حبان: ... والتواضع يكسب السلامة، ويورث الألفة، ويرفع الحقد، ويذهب الصد، وثمرة التواضع المحبة، كما أن ثمرة القناعة الراحة، وإن تواضع الشريف يزيد في شرفه، كما أن تكبر الوضيع يزيد في ضعته.

والتواضع من أخلاق الأنبياء وشِيَم النبلاء.

فهذا موسى عليه السلام رفع الحجرَ لامرأتين أبوهما شيخٌ كبير.

وداود عليه السلام كان يأكل من كَسب يده.

وزكريّا عليه السلام كان نجّارًا.

وعيسى عليه السلام يقول (وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا).

وما مِن نبيّ إلاّ ورعى الغنم، ونبيّنا ﷺ .

والتواضعُ سبَب العدلِ والأُلفة والمحبّة في المجتمع.

عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ (إِنَّ اَللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

قال الشافعي: لا يطلب هذا العلم أحد بالملك وعزة النفس فيفلح لكن من طلبه بذل النفس وضيق العيش وخدمة العلم وتواضع النفس أفلح.

وقال عبد الله بن المعتز: المتواضع في طلب العلم أكثرهم علماً كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء.

وقال إبراهيم بن شيبان: الشَّرف في التَّواضُع، والعزُّ في التَّقوى، والحرّية في القناعة

قال أبو بكر ﷺ: "وجدنا الكرم في التقوى، والغنى في اليقين، والشرف في التواضع

عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: "إنكم لمغفلون، أفضل العبادة: التواضع .

تواضع تكن كالنجم لاح لناظرٍ *** على صفحات الماء وهو رفيعُ

ولا تك كالدخان يعلو بنفسه *** إلى طبقات الجو وهو وضيعُ

قال ابن الحاج رحمه الله: من أراد الرفعة فليتواضع لله تعالى؛ فإن العزة لا تقع إلا بقدرِ النزولِ، ألا ترى أن الماءَ لما نزلَ إلى أصلِ الشجرةِ صعدَ إلى أعلاها فكأن سائلاً سأله: ما صعدَ بِكَ هنا –أعني في رأس الشجرة– وأنت تحت أصلها؟ فكأن لسان حاله يقول: من تواضع لله رفعه.

قال عروة بن الورد: التواضع أحد مصائد الشرف، وكل نعمة محسود عليها إلا التواضع.

قال بعض الحكماء: إذا نسك الشريف تواضع، وإذا نسك الوضيع تكبّر.

وقال عامر بن عبد الله: من تواضع تخشعاً رفعه الله ومن تكبر تعظماً وضعه الله.

قال بعض الحكماء: البلية التي لا يؤجر عليها المبتلى بها: العجب، والنعمة التي لا يحسد عليها: التواضع.

وقال الذهبي في السير وإيثار الخمول والتواضع، وكثرة الوجل من علامات التقوى والفلاح.

تواضع إذا ما نلت في الناس رفعة ---- فإن رفيعَ القوم من يتواضع

٦-**قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي** –رحمه الله– هذا الحديث: احتوى على فضل الصَّدقة، والعَفو والتَّواضع، وبيان ثمراتها العاجلة والآجلة، وأنَّ كل ما يَتَوهَّمه الْمُتَوهِّم من نقص الصدقة للمال، ومنافاة العفو للعِزّ، والتواضع للرفعة، وهْمٌ غالط، وظنٌّ كاذب، فالصَّدقة لا تُنقِص المال؛ لأنه لو فُرِض أنَّه نَقصَ من جهة، فقد زاد من جهاتٍ أُخَر؛ فإن الصدقة تُبارِكُ المال، وتَدفع عنه الآفات وتُنَمِّيْه، وتفتح للمتصدِّق من أبواب الرزق، وأسباب الزِّيادة أمورًا ما تُفْتَح على غيره، فهل يقابل ذلك النَّقص بعض هذه الثمرات الجليلة؟

وهذه الثلاث المذكورات في هذا الحديث: مُقدمات صفات المحسنين، فهذا محسنٌ في ماله، ودفع حاجة المحتاجين، وهذا محسنٌ بالعفو عن جنايات المسيئين، وهذا محسنٌ إليهم بحلمه وتواضعه، وحسن خُلُقه مع الناس أجمعين. وهؤلاء قد وَسِعوا النَّاس بأخلاقهم وإحسانهم، ورفعهم الله، فصار لهم المحل الأشرف بين العباد، مع ما يَدَّخر الله لهم من الثواب .

٥٥٧ – وعن عائشة رضي الله عنها (أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النبيُّ ﷺ «مَا بَقِيَ مِنْهَا؟» قالت: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُها. قَالَ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرُ كَتِفِهَا). **رواه الترمذي، وقال: «حديث صحيح».**

ومعناه: تَصَدَّقُوا بِهَا إِلاَّ كَتِفَها. فَقَالَ: بَقِيَتْ لَنَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ كَتِفَهَا.

==========

(**أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً**) أَيْ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ ، أَوْ أَهْلُ الْبَيْتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَهُوَ الظَّاهِرُ .

(**مَا بَقِيَ مِنْهَا؟**) أي: ما فضَل منها، ولم يَخرُجْ صدَقةً .

(**قالت: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُها**) أي: لم يَفضُلْ إلَّا كَتِفُ هذه الشَّاةِ لم يُتصدق بها .

(**قَالَ :بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرُ كَتِفِهَا**) أي: إنَّ ما تَأكُلُه في الدُّنيا يَبْلى ويَفْنى، أمَّا الصَّدقةُ فهي الَّتي تَمضي إلى الآخرةِ، فيَبْقى لك ثَوابُها

١–الحديث دليل على فضل الصدقة ، وأنه أفضل ما يقدمه لآخرته، فالحديث دليل على أن مال الإنسان حقيقة : هو ما قدمه من عمل صالح وصدقة.

عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ (أَتَيْتُ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) قَالَ : يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي – قَالَ – وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ) .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (يَقُولُ الْعَبْدُ مَالِي مَالِي إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلاَثٌ مَا أَكَلَ فَأَفْنَى أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى أَوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ) رواه مسلم .

قال ابن بطال: فيه التحريض على ما يمكن تقديمه من المال في وجوه البرّ والقرب لينتفع به في الآخرة، فإن كل ما يخلفه يصير ملكاً للوارث.

قال الحسن البصري: يؤتى بابن آدم يوم القيامة كأنه بَذَج فيقول الله، عَزَّ وجل، أين ما جمعت؟ فيقول يا رب، جمعته وتركته أوفر ما كان، فيقول: فأين ما قدمت لنفسك؟ فلا يراه قدم شيئاً، وتلا هذه الآية (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ). بذج: هو ولد الضأن أي يؤتى به وهو في غاية الضعف والذل.

والناس رأوا بأم أعينهم من يملك الملايين ، ومن يملك أموال لا يحصيها إلا رب العالمين ، ومع ذلك ماتوا وراحوا.

وجاء في الحديث (إن العبد إذا مات قال له الناس ما خلف، وقالت له الملائكة ما قدم).

٢–بيان كرم رسول الله ﷺ وأهل بيته.

٣–مال العبد الحقيقي ما يقدمه ويدخر ثوابه عند الله تعالى .

٥٥٨ – وعن أسماء بنت أَبي بكرٍ الصديق رضي الله عنهما، قالت: قَالَ لي رسول الله ﷺ (لاَ تُوكِي فَيُوكى عَلَيْكِ) .

وفي رواية: «أنفقي أَوِ انْفَحِي، أَوْ انْضَحِي، وَلاَ تُحصي فَيُحْصِي اللهُ عَلَيْكِ، وَلاَ تُوعي فَيُوعي اللهُ عَلَيْكِ». متفقٌ عَلَيْهِ.

وَ «انْفَحِي» بالحاء المهملة، وَهُوَ بمعنى «أنفقي» وكذلك «انْضحي».

==========

(**لا تحصي**) أي: لا تحصي ما تنفقين، حتى لا تستكثريه، فربما امتنعت من الإنفاق .. ولا تتكلفي معرفة قدر إنفاقك، أو لا تَعُدِّي ما تتصدقين به، فيحصي الله ما يعطيك.

(**لا توعي**) أي: لا تجمعي المال في الوعاء وتدخريه بخلاً به خشية النفاد.

(**لا توكي**) أي: شد رأس الصرة والكيس بالوكاء، وهو الرباط الذي يُربط به، والمعنى: لا تدخري وتمنعي ما في يدك بخلا به.

١-في هذا الحَديثِ يَقولُ النبيُّ ﷺ لأسماءَ بنتِ أبي بكرٍ رَضيَ اللهُ عنهما: لا تُوكِي، والإيكاءُ: شَدُّ رأسِ الوِعاءِ بالوِكاءِ، وهو الرِّباطُ الَّذي يُربَطُ به، والمعنى: لا تدَّخِري وتمنَعي مالَكِ عن الصَّدقةِ خَشيةَ نَفادِه، فتَنقطِعَ عنكِ مادَّةُ الرِّزقِ، وسببُ هذا ما جاءِ في الصَّحيحَينِ أنَّ أسماءَ رَضيَ اللهُ عنها سألَتِ النبيَّ ﷺ عن الصدَقةِ، وقالتْ له: يا رسولَ الله، ما لي إلَّا ما أدْخَلَ علَيَّ الزُّبَيرُ، أفَأتَصَدَّقُ؟ قال: «تَصَدَّقي، ولا تُوعِي فيُوعَى علَيكِ»، وفي روايةٍ متفَقٍ عليها، قال لها: «لا تُحصِي»، والإحصاءُ مَعرفةُ قدْرِ الشَّيءِ وزنًا أو عددًا، والمعنى : لا تُحصي ما تُعطي فتَستكثريه، فيكونَ سَببًا لانقطاعِه.

٢-وقد روى هذا الحديث ابن حبان في صحيحه وترجم عليه بقوله: ذكر الزجر عن أن يوعي المرء بعض ماله إذ الله جل وعلا يوعي على من جمع ماله فأوعى.

وقد فسر ذلك الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في فتح الباري بقوله: والمعنى: لا تجمعي في الوعاء وتبخلي بالنفقة فتجازي بمثل ذلك. انتهى.

وقال النووي : معناه الحث على النفقة في الطاعة والنهي عن الإمساك والبخل، وعن إدخال المال في الوعاء. انتهى.

٣-أنَّ الصدَقةَ تُنمي المالَ، وتكونُ سَببًا إلى البَرَكةِ والزِّيادةِ فيه .

٤- أنَّ مَن شَحَّ ولم يَتصدَّقْ، فإنَّ اللهَ يُوكي عليه، ويَمنَعُه البَرَكةَ في مالِه والنَّماءَ فيه.

٥- أنَّ البُخلَ بالصَّدقةِ -لا سيَّما الواجبةِ- يُؤدِّي إلى إتلافِ المالِ، وأنَّ السَّخاءَ يَفتَحُ أبوابَ الرِّزقِ.

٥٥٩ – وعن أَبي هريرة ﷺ: أنَّه سمع رسول الله ﷺ يَقولُ (مَثَل البَخِيل وَالمُنْفِق، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَديدٍ مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا المُنْفِقُ فَلاَ يُنْفِقُ إِلاَّ سَبَغَتْ – أَوْ وَفَرَتْ – عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ، وَتَعْفُو أثرَهُ، وأمَّا البَخِيلُ، فَلاَ يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلاَّ لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوسِّعُهَا فَلاَ تَتَّسِعُ) متفقٌ عَلَيْهِ.

وَ «الجُنَّةُ»: الدِّرْعُ؛ وَمَعنَاهُ أنَّ المُنْفِقَ كُلَّمَا أَنْفَقَ سَبَغَتْ، وَطَالَتْ حَتَّى تَجُرَّ وَرَاءهُ، وَتُخْفِيَ رِجْلَيْهِ وَأَثَرَ مَشْيِهِ وَخطُوَاتِهِ.

==========

(**عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ**) وفي رواية البخاري (جُبتان) الجُبَّةُ بالضم: ثوبٌ مِن المقطعات يُلبس.

قال أبو العباس القرطبي -رحمه الله- قوله: (جُنَّتان من حديد) يعني: درعين، والجُنَّة: ما يُستجَنُّ به، وكذا صحيح الرواية، وقد روي: «جُبَّتان» بالباء بواحدة وفيه بُعدٌ في المعنى.

(**مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا**) التَّراقي: جمع ترقوة، وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق، وهما تَرقُوَتان من الجانبين .

(**حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ، وَتَعْفُو أثرَهُ**) أي: تمحو الجبةُ أثرَ مشيه؛ لسبوغها، ومراده أن الصدقة تستر خطايا المتصدق كما يستر الثوبُ الذي يُجَر على الأرض أثرَ مشي لابِسِه بمرور الذيل عليه .

١-الحديث دليل على أن الصدقة سبب لانشراح الصدر .

فالمتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه، وانفسح بها صدره، فهو بمنزلة اتساع تلك الجبة عليه، فكلمَّا تصدَّق اتسع وانفسح وانشرح، وقوي فرحه، وعظم سروره، ولو لم يكن في الصَّدقة إلا هذه الفائدة وحدها لكان العبدُ حقيقياً بالاستكثار منها والمبادرة إليها وقد قال تعالى (ومَن يُوقَ شُحَّ نَفسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُون).

٢-**قال ابن القيم** تعليقاً على هذا الحديث: ولما كان البخيل محبوساً عن الإحسان ممنوعاً عن البر والخير وكان جزاؤه من جنس عمله، فهو ضيق الصدر ممنوع من الانشراح ضيق العطن صغير النفس قليل الفرح كثير الهم والغم والحزن لا يكاد تقضى له حاجة ولا يعان على مطلوب، فهو كرجل عليه جبة من حديد قد جمعت يداه إلى عنقه بحيث لا يتمكن من إخراجها ولا حركتها،

وكلما أراد إخراجها أو توسيع تلك الجبة لزمت كل حلقة من حلقها موضعها، وهكذا البخيل كلما أراد أن يتصدق منعه بخله فبقي قلبه في سجنه كما هو.

٣-**قال العيني** -رحمه الله- (مثل البخيل والمتصدق) شبَّههما برجلين أراد كلٌّ منهما أن يلبس دِرعًا، فجعل مَثَل المنفِق مَثَل مَن لبسها سابغة فاسترسلتْ عليه حتى سترتْ جميعَ بدنه وزيادة، ومَثَل البخيل كرجل يَدُه مغلولة إلى عُنُقِه ملازِمة لتَرقوته، وصارت الدِّرع ثِقْلًا ووبالًا عليه لا يَتَّسِع، بل تنزوي عليه من غير وقاية له .

٤-**قال أبو العباس القرطبي** -رحمه الله-: وهذان المثَلان للبخيل والمتصدق واقعان؛ لأن كل واحد منهما إنما يتصرّف بما يجد من نفسه، فمن غلب الإعطاءُ والبذلُ عليه طاعت نفسه، وطابت بالإنفاق، وتوسعت فيه، ومن غلب عليه البخلُ كان كلما خطر بباله إخراج شيء مما بيده شحّت نفسُه بذلك؛ فانقبضت يده للضيق الذي يجده في صدره، ولشُحِّ نفسه الذي مَن وُقِيَه فقد أفلح، كما قال تعالى (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

٥-**قال القاضي عياض** -رحمه الله-في هذا الحديث: الترغيب في الصدقة وفضلها.

٦-**قال ابن هبيرة** -رحمه الله- في هذا الحديث من الفقه: أن رسول الله ﷺ ضربه مثلًا للبخيل والمتصدق، في أن البخيل كلما قبض يده ضيّق الله عليه، وملأ قلبَه خوفًا مِن الفقر، ويأسًا من الخَلَفِ، وأن المتصدق كلما بسط يده بالخير، بسط اللهُ عليه فضلَه.

٧-التنفير عن البخيل وذمه .

٥٦٠ – وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ (مَنْ تَصَدَّقَ بعَدلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ إلاَّ الطَّيِّبَ، فَإنَّ اللهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ) متفقٌ عَلَيْهِ.

«الفَلُوُّ» بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو، ويقال أيضًا: بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو: وَهُوَ المُهْرُ.

==========

(**مَنْ تَصَدَّقَ بعَدلِ تَمْرَةٍ**) يريد: قيمة تمرة .

(**مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ**) أي : حلال .

١-الحديث دليل على فضل الصدقة ولو كانت بالشيء القليل ، فإن الله ينميها ويبارك فيها حتى تصبح كالجبل .

وقد تقدمت فضائل الصدقة .

٢-**قال السمرقندي**: عليك بالصدقة بما قلّ أو كثر، فإن في الصدقة عشر خصال محمودة خمس في الدنيا وخمس في الآخرة.

أما التي في الدنيا:

فأولها: تطهير المال كما قال النبي ﷺ (ألا إن البيع يحضره اللغو والحلف والكذب، فشوبوه بالصدقة).

والثاني: أن فيها تطهير البدن من الذنوب، كما قال الله تعالى (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ...).

والثالث: أن فيها دفع البلاء والأمراض، كما قال النبي ﷺ (داووا مرضاكم بالصدقة).

والرابع: أن فيها إدخال السرور على المساكين، وأفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمنين.

والخامس: أن فيها بركة في المال وسعة في الرزق، كما قال تعالى (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ).

وأما الخمس التي في الآخرة:

فأولها: أن تكون الصدقة ظلاً لصاحبها في شدة الحر.

والثاني: أن فيها خفة الحساب.

والثالث: أنها تثقل الميزان.

والرابع: جواز على الصراط.

والخامس: زيادة الدرجات في الجنة.

قال ابن القيم : للصدقة تأثير عجيب في دفع البلاء ودفع العين ودفع شر الحاسد

وقال رحمه الله : فالصدقة لها تأثير عجيب في دفع أنواع البلاء ولو كانت من فاجرٍ أو ظالمٍ، بل من كافر، فإن الله تعالى يدفع بها أنواعاً من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم وأهل الأرض مقرون به لأنهم قد جربوه. (الوابل الصيب)

وقال رحمه الله : فإن الصدقة تفدي من عذاب الله، فإن ذنوب العبد وخطاياه تقتضي إهلاكه، فتجاء الصدقة تفديه من العذاب وتفكه منه، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح لما خطب النساء يوم العيد :يا معشر النساء تصدقن ... فإني رأيتكن أكثر أهل النار.

وقال رحمه الله : لو علم المتصدق أن صدقته تقع في يد الله قبل يد الفقير لكانت لذة المعطي أكبر من لذة الآخذ .

وقال رحمه الله : المتصدق يستخدم جنداً يقاتلون عنه وهو نائم على فراشه ، فمن لم يكن له جند وله عدو فإنه يوشك أن يظفر به عدوه .

قال ابن شقيق : سمعت ابن المبارك وسأله رجل: عن قرحةٍ خرجت في ركبته منذ سبع سنين، وقد عالجها بأنواع العلاج، وسأل الأطباء فلم ينتفع به، فقال: اذهب فاحفر بئراً في مكان حاجة إلى الماء، فإني أرجو أن ينبع هناك عين ويمسك عنك الدم، ففعل الرجل فبرأ .

وقال جعفر الصادق : إني لأفتقر فأتاجر الله بالصدقة .

٣-وقد أمر الله تعالى بالصدقة قبل قيام القيامة الصغرى وقبل الكبرى:

فقال تعالى (وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ).

والموت القيامة الصغرى.

وقبل يوم القيامة: فقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ).

٤- وقد جاء الأمر بالصدقة والحرص عليها والمبادرة بها قبل أن لا يوجد من يقبلها.

عن حَارِثَة بْن وَهْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ (تَصَدَّقُوا فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يَمْشِي الرَّجُلُ بِصَدَقَتِهِ فَلاَ يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا يَقُولُ الرَّجُلُ لَوْ جِئْتَ بِهَا بِالأَمْسِ لَقَبِلْتُهَا فَأَمَّا الْيَوْمَ فَلاَ حَاجَةَ لِي بِهَا) متفق عليه.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ (لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ وَحَتَّى يَعْرِضَهُ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ لاَ أَرَبَ لِي) متفق عليه.

وعَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ ثُمَّ لاَ يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنْهُ وَيُرَى الرَّجُلُ الْوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً يَلُذْنَ بِهِ مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ) متفق عليه.

٥-يشترط أن يكون المال المتصدق به من كسب حلال .

قال ابن هبيرة -رحمه الله- قوله (مِن كَسب طيّب) فإن الله تعالى إنما يثيب العبد على ما أنفق من ماله، وإذا أنفق من مالٍ مغصوب لم يكن قد أنفق مالَه، إنما أنفق من مال غيره؛ فلم يكن مِن المنفقين أموالهم، كما قال -عز وجل- (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ) فإذا أنفق من ماله، فهو الذي يأجره الله عليه، وذلك هو الكسب الطيب، وهو الذي يكسبه بالشرع، فقد طابت طُرق حصوله، وينبغي له ألا يزدري النزرَ من الإنفاق؛ فإنه سيربو في التضعيف أضعافَ ما يأمل المتصدِّق به.

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- فالطّيب من الأعمال: ما كان خالصًا لله، موافقًا للشريعة، والطيب من الأموال: ما اكتُسب عن طريق حلال، وأما ما اكتسب عن طريق محرّم، فإنه خبيث .

وقال الشيخ حمزة محمد قاسم -رحمه الله-: معنى كونها طيّبة، أن يتوفر فيها شرطان:

الأول: أن تكون خالصة لله تعالى، ليس فيها رياء، ولا سمعة.

والثاني: أن تكون من مال حلال .

أما إذا كانت رياءً، فإنها تُرد على صاحبها؛ لقول الله تعالى -كما في الحديث القدسي-: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري -أي راءى فيه غيري- تركته وشركه»، وكذلك الصدقة من الحرام لا تُقبل؛ لقوله ﷺ في حديث الباب: «ولا يقبل الله إلا الطيب»، وقوله في حديث آخر: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور، ولا صدقة مِن غُلُول» أي: ولا يقبل صدقة من مال حرام.

٦-**قال الشيخ عبد الله الغنيمان** -حفظه الله-قوله (فإن الله يتقبلها بيمينه...) أي: أن الله تعالى يقبلها من صاحبها، فيأخذها بيده اليمنى «وكلتا يديه يمين» فينميها لصاحبها، ويبارك فيها، ويعتني بها عناية بالغة، كما يعتني أحدنا بأغلى ما لديه من المال وأنفَسِه، وهو ولد الفَرَس، الذي يُعَدُّ لمدافعة الأعداء وقتالهم، وحماية الأعراض والنفوس والأموال، حتى يصير ما هو بقدر التمرة -لشدة عناية الله تعالى به- مثل الجبل .

قال ابن حجر -رحمه الله- قوله (حتى تكون كالجبل) ... والظاهر أن المراد بعِظَمها أن عينها تعظم؛ لتثقل في الميزان، ويحتمل أن يكون ذلك معبَّرًا به عن ثوابها.

٧ - عدم احتقار القليل من الصدقة وغيرها، لأنها تربو عند الله حتى تكون كالجبل .

٥٦١ - وعنه، عن النبيِّ ﷺ قَالَ (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِفَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ، اسقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَت ذَلِكَ الماءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ المَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الماءَ بِمِسَحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، ما اسْمُكَ؟ قال: فُلانٌ للاسم الذي سَمِعَ في السَّحابةِ، فقال له: يا عبدَ الله، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ، يقولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ لاسمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا، فَقَالَ: أَمَا إذ قلتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ) رواه مسلم.

«الحَرَّةُ» الأَرْضُ المُلَبَّسَةُ حِجَارَةً سَوْدَاءَ. وَ «الشَّرْجَةُ» بفتح الشين المعجمة وإسكان الراءِ وبالجيم: هي مَسِيلُ الماءِ.

==========

(**قَالَ : بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلاَةٍ**) أي: بصحراء واسعة .

(**مِنَ الأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ اسْقِ**) أي: صوتًا قائلًا: اسق .

(**حَدِيقَةَ فُلاَنٍ**) لرجل سماه .

(**فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ**) معنى "تنحى": قصد، يقال: تنحيت الشيء، وانتحيته، ونَحَوْته: إذا قصدته .

(**فَأَفْرَغَ**) أي : صب ذلك السحاب .

(**مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ**) الحرة بفتح الحاء المهملة، وتشديد الراء: هي أرض ملبّسة حجارةً سُودًا .

(**فَإِذَا شَرْجَةٌ**) بفتح الشين المعجمة، وإسكان الراء، وجمعها شِرَاج بكسر الشين، وهي مسائل الماء في الْحِرَار .

(**فَتَتَبَّعَ**) ذلك الرجل الذي سمع الهاتف .

(**الْمَاءَ**) الواقع في تلك الشرجة ليعلم أين تذهب هذه الشرجة بالماء .

(**قَالَ**) صاحب الحديقة .

(**هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا**) من الثمار .

(**فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِه**) على الفقراء والمساكين .

(**وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا**) العيال : أهل البيت، ومن يمونه الإنسان .

١-الحديث دليل على فضل الصدقة والإحسان إلى المساكين والفقراء ... وأن الإنفاق على المحتاجين وتفريج كرب المسلمين هي تجارة عظيمة مع الله سبحانه وتعالى لا يخسر صاحبها أبداً، لتفضّل الكريم سبحانه وتعالى على عباده المنفقين بالبركة والنماء، والخُلف في المال، وجعل الإنفاق سبباً من أسباب الرزق، وشاهد ذلك قوله تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وقوله في الحديث القدسيّ (يا بن آدم أَنفق أُنفق عليك) متفق عليه .

وَلِهَذَا كَانَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يُكْثِرُ مِنَ الْإِنْفَاقِ؛ فَلَامَهُ بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَرَادَ أَنْ يَرْتَحِلَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ؛ هَلْ يُبْقِي فِي الْأُولَى شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ.

٢-الصدقة تنتج بالبركة والمعونة من الله .

٣-فضل أكل الإنسان من كسبه والإنفاق على العيال.

٤-من الملائكة من هو موكل بالأرزاق أو السحاب.

٥-إثبات كرامات الأولياء، فالْكَرَامَة ثَابِتَةٌ لِلْمُؤْمِنِ: فَلَا سَبِيلَ إِلَى إِنْكَارِهَا، فَقَدْ أَوْكَلَ اللَّهُ مَلَائِكَتَهُ يَسْقُونَ حَدِيقَتَهُ .

٦-الْمَلَائِكَةُ مُوَكَّلُونَ بِأَمْرِ اللَّهِ: فَاللَّهُ تَعَالَى أَوْكَلَ أُمُورَ تَدْبِيرِ الْكَوْنِ لِلْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: (فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا) فَقَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ وَكَّلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُدَبِّرُوا كَثِيرًا مِنْ أُمُورِ الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ؛ مِنَ الْأَمْطَارِ، وَالنَّبَاتِ، وَالْأَشْجَارِ، وَالرِّيَاحِ، وَالْبِحَارِ، وَالْأَجِنَّةِ، وَالْحَيَوَانَاتِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ .

٧-الْعُبُودِيَّةُ أَعْظَمُ صِفَةٍ لِلْإِنْسَانِ: فَكُلٌّ مِنَ الرَّجُلَيْنِ وَصَفَ صَاحِبَهُ بِصِفَةِ الْعُبُودِيَّةِ، وَنَادَاهُ بِهَذَا النِّدَاءِ: "يَا عَبْدَ اللَّهِ".

٨-الْأَصْلُ هُوَ إِخْفَاءُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ: وَعَدَمُ الْمُجَاهَرَةِ بِهِ، وَلَا يُعَرِّضُهُ لِلْبُطْلَانِ بِالرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ، فَإِنِ اضْطُرَّ الْإِنْسَانُ أَنْ يُخْبِرَ عَنْ عَمَلِهِ الصَّالِحِ، وَاحْتِيجَ إِلَى ذَلِكَ؛ فَلَا بَأْسَ بِهِ، مَا دَامَ لَا يَقْصِدُ الرِّيَاءَ وَالسُّمْعَةَ؛ فَإِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَالَ لِصَاحِبِهِ: «أَمَّا إِذَا قُلْتَ هَذَا» أَيْ: فَسَأُخْبِرُكَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا أَخْبَرَ بِعَمَلِهِ، وَمِنَ السَّبْعَةِ السُّعَدَاءِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

٩-الْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ: فَهَذَا الرَّجُلُ أَنْفَقَ فَأَنْفَقَ اللَّهُ عَلَيْهِ، عَرَفَ حَقَّ اللَّهِ، وَحُقُوقَ الْفُقَرَاءِ فِي مَالِهِ؛ فَعَرَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَمَدَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

١٠- الْعَبْدُ الصَّالِحُ يُرْزَقُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ: فَهَذَا الْمُتَصَدِّقُ رُزِقَ مِنْ أَمْرَيْنِ: الْأَوَّلُ: رُزِقَ مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ. الثَّانِي: رُزِقَ بِمَنْ يُخْبِرُهُ بِمَا يَدُلُّ عَلَى مَكَانَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَمَا هَيَّأَ لَهُ هَذَا الْمُخْبِرَ، وَهَذَا مِنْ عَاجِلِ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ.

١١-فَضْلُ النَّفَقَةِ عَلَى الْأَهْلِ وَالْعِيَالِ: وَهَذَا مِنْ أَفْضَلِ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ الْمُسْلِمُ إِلَى رَبِّهِ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَالَ ﷺ «وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا؛ حَتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِيّ امْرَأَتِكَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٢- الإشارة إلى قيمة العمل ومكانته عند المسلم، فالرّجل ما اعتزل الدنيا أو تركها وراء ظهره، ولكنّه جدّ واجتهد، وبذل الأسباب، وسعى وراء الرّزق، ثم تصدّق بماله، وهذا هو حال الأمّة العاملة، تبني وتشيد، وتجد وتسعى، حتى تنال مكانتها بين الأمم .